*سيبويه، وأوّل كتابٍ مؤلَّفٍ في النَّحو العربي*

*بحث في النحو*

*إعداد/ د. وليد علي الطنطاوي*

*قسم اللغة العربية*

*كلية العلوم الاسلامية – جامعة المدينة العالمية*

شاه علم - ماليزيا

*waleed.eltantawy@mediu.edu.my*

*خلاصة*—هذا البحث يبحث في سيبويه، وأوّل كتابٍ مؤلَّفٍ في النَّحو العربي.

*الكلمات المفتاحية: الأفعال، الماضى، الالفاظ*.

# ***المقدمة***

معرفة أسس سيبويه، وأوّل كتابٍ مؤلَّفٍ في النَّحو العربي، حيث تعدّ قيمته قيمةً للعربية في لسانها، وصفاء أساليبها وعلوّ أسانيدها، وهو الأم في بابه، وإذا أطلق لفظ الكتاب فإنما يعني به كتاب سيبويه، ذلك أنه ورد عن المبرد محمد بن يزيد أنه كان يقول لكل من سأله أن يقرأ عليه كتاب سيبويه: "هل ركبت البحر؟" وما هذه العبارة إلا إشارة إلى أن الأمر ليس سهلًا، عندما نُقبل على كتاب سيبويه.

1. *المقالة*

تعريف موجز بسيبويه:

الحمد لله رب العالمين ربنا، والصلاة والسلام على رحمة الله تعالى للعالمين نبيّنا، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته وآمن بنوره، ورضي بسنته إلى يوم الدين، أما بعد:

فيحسن أن نقدّم تعريفًا موجزًا بإمام اللغويين البصريين: عمرو بن عثمان:

إذا سُئلت عن اسم سيبويه، فهو عمرو، وأبوه عثمان يكنّى بأبي بشر، وهو كذلك يكنّى بأبي الحسن، وأبي عثمان، لكن الأول أشهر، وبه يُعرف، والحق أن لتسميته بـ"سيبويه" سببًا ذكره العلماء المترجمون، فقالوا: إن معناه رائحةُ التفاح، وكأنّ رائحة التفاح كانت تفوح من فمه وهو صغير؛ إيذانًا بأن رائحة الصواب للكلام العربي سوف تخرج من هذا الفتى النضير، طيب الرائحة -عليه رحمة الله تعالى- سمّته أمه: سيبويه. وتقول المصادر: إنه -رحمه الله- توفي سنة مائةٍ وثمانين للهجرة.

من شيوخه: الإمام عيسى بن عمر، وحماد بن سلمة، والخليل بن أحمد ويونس بن حبيب، وأبو زيدٍ الأنصاري، وأبو الخطاب الذي يلقب بـ: الأخفش الكبير، نحن نعلم كذلك أن من تلامذة سيبويه أبو الحسن الأخفش، والزيادي، وكذلك كل من ينتمي إلى العربية بصلة.

وقد قدم كتابه إلى البشرية، فكان أول كتابٍ وصلنا في علم النحو، ذلك الكتاب الذي تعدّ قيمته قيمةً للعربية في لسانها، وصفاء أساليبها وعلوّ أسانيدها، وهو الأم في بابه، وإذا أطلق لفظ الكتاب فإنما يعني به كتاب سيبويه، ذلك أنه ورد عن المبرد محمد بن يزيد أنه كان يقول لكل من سأله أن يقرأ عليه كتاب سيبويه: "هل ركبت البحر؟" وما هذه العبارة إلا إشارة إلى أن الأمر ليس سهلًا، عندما نُقبل على كتاب سيبويه.

2. باب الأفعال التي تستعمل وتلغى "ظن وأخواتها":

هذا الباب سمّاه سيبويه: "باب الأفعال التي تستعمل وتلغى". والسؤال هنا: ما هذه الأفعال التي تُستعمل وتُلغى؟

والجواب: أن هذا من أسرار (الكتاب)، ومن فتح عباراته أن نقول، ونحن نسميه: ظن وأخواتها بين الاستعمال والإلغاء، اتّضح العنوان إذن، وفهمنا أن مراد سيبويه أنه يتعرّض بشيء من أحكامه "ظن وأخواتها".

سيبويه يذكر الفعل ومعه فاعله:

يقول: "هي ظننت"، ولعلك تقف عند تعبير سيبويه، وهذا دأبه، أنه إذا مثل بالفعل ذكر معه الفاعل، وهذا على عكس ما تسمع من كثيرٍ من الناس، حين يقول لك: كان، وأصبح، وظل، وصار... يسردها سردًا، تقول: ظننتُ.

ظنّ: فعل ماضٍ، والتاء فاعل. أهذا يا سيبويه فعل الجواب؟ نعم، وأنا أخاطبك -عاشق العربية- فأقول لك: اعلم أنَّ التاء اتصلت بالفعل، فلما اتصلت بها حدثت أمور أنت تعرفها، ألا ترى أن "ظن" بنيت على الفتح المقدر الذي منع من ظهوره سكون عارض؛ جاء كراهية أن تتوالى المتحركات فيما هو كالكلمة الواحدة.

ما معنى فيما هو كالكلمة الواحدة؟

وحين يذكر سيبويه الفعل ومعه فاعله، فاعلموا أنَّ الرجل حريص على بناء العربية، فكأنه يذكر جملة إذ ذكر كلمة، وكأنه يريد أن يتمّ الكلام؛ ليستقيم على اللسان لفظه ومعناه معًا، ألا ترى إلى قوله ونحن نقرأ معه: هي ظننت، وحسبت، وخلت، وأريت، ورأيتن أو ورأيت، وزعمتْ، أو زعمتَ أو زعمتِ.

مراد سيبويه بقوله: "وما يتصرف من أفعالهن":

ثم يقول سيبويه: "وما يتصرف من أفعالهنًّ"، في هذه العبارة ذكر سيبويه ظن، وحَسِبَ وحَسَبَ -وفيها لغتان- وخال، ورأى، وزعم.

نبّهنا إلى حقيقةٍ طالما غفل عنها كثير من الناس، وهي قوله: "وما يتصرف من أفعالهنّ". إن هذه الأفعال التي تستعمل وتلغى، ظن ويأتي منه يظن، وحسب ويحسب ويحسب، وخال وإخال ويخال، أي: أنَّ المضارع والأمر وما يتصرف من هذه الأفعال كهذه الأفعال، الملاحظ أن سيبويه يذكر الأفعال على هيئة ماضيها، يعني بعد أن يقول هذا باب الأفعال التي تستعمل وتُلغى.

يقول: هي: ظننتُ ظننتَ، يسند الفعل إلى الفاعل، وهو تاء الفاعل للمتكلم، ويقول: حسبت وكأنه يقصد أن الماضي يعبّر به ويراعى فهو أصل الفعل، ثم يحمل عليه مضارعه، وأمره، بل واسم الفاعل منه، وكل ما يتصرّف من هذه الأفعال يعمل ويُلغى، وهو معنى الباب.

# المراجع والمصادر

1. سيبويه، عمرو بن عثمان سيبويه (الكتاب) ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الجيل، 1991م
2. المبرد، محمد بن يزيد المبرد (المقتضب)، دار الكتب العلمية، 2000م
3. بن مالك، محمد بن عبد الله بن مالك (شرح التسهيل)، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1990م
4. القفطي، جمال الدين علي بن يوسف القفطي (أنباه الرواة على أنباه النحاة)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، 1950م
5. بن كثير، إسماعيل بن كثير (طبقات الشافعية)، دار المدار الإسلامي للتوزيع، 2003م
6. الحنبلي، ابن العماد عبد الحي بن أحمد الحنبلي (شذرات الذهب في أخبار من ذهب)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، سوريا، دار ابن كثير، 1986م
7. الأنباري، عبد الرحمن بن محمد الأنباري (الإنصاف في مسائل الخلاف)، دار الكتب العلمية، 2007م
8. الأنباري، أبو البركات بن الأنباري (البيان في غريب إعراب القرآن)، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 2002م
9. الأنصاري، جمال الدين بن هشام الأنصاري (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م
10. الأشموني، علي بن محمد الأشموني (شرح الأشموني على ألفية ابن مالك)، دار الكتب العلمية، 1998م
11. بن جني، ابي الفتح عثمان بن جني (الخصائص)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 2006م
12. بن مالك، محمد بن عبد الله بن مالك (شرح الكافية الشافية)، دار الكتب العلمية، 2000م
13. الشافعي، محمد بن علي الصبان الشافعي (حاشية الصبان على شرح الأشموني)، دار الكتب العلمية، 1997م
14. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (بغية الدعاة في طبقات اللغويين والنحاة)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1964م
15. الطنطاوي، محمد الطنطاوي (نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م
16. الأستراباذي، محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي (شرح الرضي على الكافية)، تحقيق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، 1978م
17. بن يعيش، يعيش بن علي بن أبي يسار بن يعيش (شرح المفصل)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1996م.
18. بن منظور، محمد بن مكرم بن منظور (لسان العرب)، بيروت، دار صادر، 1970م
19. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (اللباب في علل البناء والإعراب)، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م
20. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (همع الهوامع في شرح جمع الجوامع)، دار الكتب العلمية، 1997م
21. الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن عليّ بن حيان الأندلسي (تفسير البحر المحيط)، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، 1413هـ